العلَّامة المحدِّث المعمَّر الشيخ
محمَّد مقدَّس عليّ السِّلْهَتيّ

بقلم: محفوظ أحمَد السِّلْهَتي

هو العالم الكبير، الوَرِع الزاهد، التقي النقي الخفي، تذكار السلف الصالح، رَيحانة سِلْهَت وفخرها، العلَّامة المحدِّث المعمَّر، الشيخ محمَّد مقدَّس عليّ السِّلْهَتي، حفظه الله تعالى ورعاه.

اسمه ونسبه:

هو محمَّد مقدَّس عليّ بن جمشيد عليّ بن محمَّد منصور السِلْهَتي، والسِلْهَتي نسبة إلى مدينة سِلْهَت[١].

---

[١] وهي إحدى المدن الرئيسة في شمال شرق بنغلاديش، وهي المدينة الرئيسة في تقسيم سِلْهَت ومقاطعة سِلْهَت، وتقع مدينة سِلْهَت على ضفاف وادي سورما وتحيط بها تلال جينتيا وخاسي وتريبورا، وهي تتمتع بكثافة سكانية عالية. وهي واحدة من أكبر المدن في بنغلاديش. وتشتهر منطقة سِلْهَت بحدائق الشاي والغابات الاستوائية. كما تشتهر المدينة بازدهارها التجاري؛ باعتبارها واحدة من أكثر المدن ثراءً في بنغلاديش مع استثمارات فندقية جديدة ومراكز تجارية وعقارات فاخرة، مدفوعة بشكل أساسي من قِبل المغتربين المقيمين في المملكة المتحدة.

وسِلْهَت لديها تاريخ من الفتوحات وتراث من أنواع مختلفة من الثقافات. وتُوصف المدينة بأنها العاصمة الروحانية لدولة بنغلاديش، مع وجود ضريح الشيخ حضرة شاه جلال المجرد اليمني، الذي جلب الإسلام إلى البنغال في بداية القرن الثامن الهجري في هذه المدينة. وقد ذكر

مولده:

وُلد شيخنا في ذكيغنج من مقاطعة سِلْهَت، في حدود سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م، فقد قارب التسعين من عُمُره، ونسأل الله تعالى أن يمدَّ في عُمُره بصحةٍ وعافيةٍ.

نشأته العلمية:

تلقى شيخنا العلوم الابتدائية في مدرسةِ قريته، وتابع دِراستَه الثانوية في مدرسةٍ تسمى (بهانغا مدرسة)، وهي تقع في حدود الهند حاليًا، ثم سافر إلى دار العلوم ديوبند -أزهر الهند-، وتلمَّذ على مشايخَ كبارٍ هناك.

الرحالة ابن بطوطة في كتابه المعروف بـ «رحلة ابن بطوطة» أنه سافر إلى هذه المنطقة (سِلْهَت)، ولقي هنا بالشيخ الشاه جلال، حيث وصفه بأوصاف عجيبة، من أراد التوسع فليرجع إلى كتابه ذلك.

وخلال القرون القليلة اللاحقة كانت جزءًا من ولاية آسام اثناء عهد الهند البريطانية. وبعد الاستقلال بين الهند وباكستان، أصبحت سِلْهَت جزءًا من شرق باكستان بناءً على استفتاء وتصويت، وهي الآن جزء من بنغلاديش. وقد لعبت دورًا رئيسًا في حرب تحرير بنغلاديش أثناء سبعينيات القرن الماضي.

ونبغ في سِلْهَت علماء في مختلف العلوم الشرعية من الحديث والتفسير والفقه خلال القرون الماضية، كما أسست مدارس دينية ومراكز علمية كثيرة.

وقد ذكر العلَّامة المحدث الشيخ إمداد الحق السِلْهَتي حفظه الله تعالى في الفائدة الحادية والثلاثين: (كيف جاء علم الحديث في البنغال وبيان نبذة من أحوال المحدثين) من كتابه «هداية الساري إلى دراسة البخاري» عددا من علماء بنغال عامة، وعلماء سِلْهَت خاصة، فمن أراد التفصيل فليراجع كتابه هذا من (٢: ٢٥٥) إلى (٢: ٢٧٤).

مشايخه:

وكان من أمنياته أن يقرأ «صحيح البخاري» على شيخ الإسلام العلَّامة حسين أحمَد المدني رحمه الله تعالى، ولكن:

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يُدرِكه   تجري الرِّياحُ بما لا تشتهي السُّفُن

فقد توفى الله الشيخ المدني قبل أن يرتقي الشيخ مقدَّس عليّ إلى ذلك الصف الدِّراسي الذي فيه يدرَّس «صحيح البخاري»، ولكن شيخنا حفظه الله تعالى استفاد من الشيخ المدني في عدَّة مناسبات، حيث كان يحضر مجالس المدني العلمية التي كانت تعقد مساء كلِّ يوم في بيته بقرية ديوبند.

فقرأ شيخنا الكتُب الستة على جهابذة المحدِّثين في ذلك العصر من تلك الدِّيار.

فقرأ «صحيح البخاري» على العلَّامة المحدِّث الكبير الشيخ فخر الدين أحمَد المرادآبادي -تلميذ العلَّامة محمود الحسن الديوبندي وكذا تلميذ إمام العصر العلَّامة المحدِّث الشيخ محمَّد أنور شاه الكشميري- رحمه الله تعالى.

وقرأ «صحيح مسلم» و«جامع الترمذي» على العلَّامة المحدِّث المتكلم الشيخ إبراهيم البلياوي -تلميذ العلَّامة محمود الحسن الديوبندي- رحمه الله تعالى.

وقرأ «سُنَن أبي داود» على العلَّامة فخر الحسن المرادآبادي -وهو غير فخر الدين المتقدم ذكره- رحمه الله تعالى.

وقرأ «سُنَن النسائي» و«شرح معاني الآثار» على الشيخ ظهور الحق رحمه الله تعالى.

وقرأ «سُنَن ابن ماجه» و«شمائل الترمذي» على الشيخ السيِّد حَسَن رحمه الله تعالى.

وقرأ «الموطأ» للإمام مالك و«الموطأ» للإمام محمَّد على العلَّامة القاري محمَّد طيِّب رحمه الله تعالى.

وأثناء دراسته في دار العلوم ديوبند سافر إلى مظاهر العلوم سهارنفور، ولقي هناك بِرَيحانة الهند، العلَّامة المحدِّث الكبير، الشيخ زكريا صاحب «أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك» وغيره من المؤلَّفات القيمة، رحمه الله تعالى، فقرأ عليه شيخُنا الحديث المسلسل بالأوَّلية، فأجازه العلَّامة زكريا بهذا وغيره من الأحاديث بأسانيده المعروفة.

تدريسه «صحيح البخاري» لأكثر من ستين سنة:

وبعد أن أكمل دراسته الإسلامية العليا وتخرج في دار العلوم ديوبند بدرجة ممتاز، عاد إلى وطنه آخذًا بالحظ الأوفر من وِراثة النبي -عليه الصلاة والسلاة-، وحاملًا المسؤولية الكبرى لنشر العلوم الدينية في قومه.

فقد عُيِّن مدرسًا في الجامعة[1] الإسلامية فيض عام منشي-بازار (معهد شرعي عريق، أسسه الشيخ الزاهد محمَّد عبد الغفار المامَرْخاني -من أخص تلامِذة العلَّامة حسين أحمَد المدني- رحمه الله تعالى)، ثم فوض إليه تدريس الكتابين «صحيح

---

[1] كلمة (الجامعة) ليست هنا على المصطلح الدولي المعروف، وإنما هي على مصطلح علماء الهند الخاص، فهم يطلقون هذه الكلمة على كل معهد شرعي تدرس فيه الكتُب الستة الحديثية المشهورة، فليتنبه.

البخاري» و«جامع الترمذي» في آن واحد، إضافةً إلى كتب أخرى دراسية في عدة صفوف دراسية.

وشيخنا حفظه الله تعالى بعد أن كبر سنه وضعف جسمه ترك دروس الكتُب الأخرى، ولكن لم يدع تدريس «صحيح البخاري» حتى اليوم. فهو يدرس هذا الكتاب العظيم منذ أكثر من ستين عامًا، ولله الحمد. وهذا يعد من النوادر في هذه الأزمنة.

ومن خلال هذه التجربة الطويلة، والممارسة الوثيقة مع «صحيح البخاري» خاصة وكُتُب الحديث الشريف عامة، نرى شيخنا حفظه الله يروي ويذكر -في مجالس وعظه وإرشاده وفي محاضراته- الأحاديث الشريفة بعددٍ كثيرٍ وبشكلٍ متقنٍ، مصرحا بألفاظ كُتُب الحديث، كأنه قد حفظ جُلَّ هذه الكتُب الحديثية، فتراه مرة يقول: هذا أول حديث من «مسند الإمام أحمَد»، وتارة يذكر: هذا آخر حديث من ذلك الكتاب الفلاني، وهكذا.

وتتميز دروس شيخنا حفظه الله تعالى بمزايا عدة، منها سعة الاطلاع، وكثرة المعلومات، والإحالة إلى الشروح العلمية المعروفة والنادرة، وما إلى ذلك من الخصائص التي تشرَّبَها شيخنا من مشايخه في ديوبند.

تلامذته:

فاشتهرت جودة تدريسه، وروعة أسلوب تقريره، وأناقة طريق شرحه، وقَصَده عُشَّاق العلم -لا سيما علم الحديث- من أنحاء سِلْهَت ومن خارج سِلْهَت، فتلمذ عليه المئات بل الآلاف من الطلبة، ويعد تلامذته من أكابر علماء هذه المنطقة

ومشايخهم.

ومن أبرز تلامذته العلَّامة المحدِّث الشيخ عبد المصوِّر الأيوري، والعلَّامة المحدِّث المفتي الشيخ أولياء حسين السِلْهَتي، والعلَّامة الشيخ شفيق الرحمن الكشورغنجي، فكلهم من شيوخ الحديث المعروفين في ديارنا.

ورعه وتقواه:

عُرِف شيخنا حفظه الله تعالى بـ «مَلَك الأرض»؛ لما يتوسم فيه من اللين والرفق والتواضع والإيثار وما إلى ذلك من الأخلاق السامية والآداب الرفيعة. فمن النادر جدًّا -إن لم يكن محالا- أن يدعي أحدٌ أنه قد آذاه الشيخ في حياته قولًا أو فعلًا، فهو يوثر غيره ولو كان له الحق، ويكره المراء والجدال تمامًا، ويحب الصمت والهدوء، ولا يحب الظهور والشهرة.

مناصبه العلمية والدينية:

- كما ذكرتُ من قبل أن الشيخ حفظه الله عُيِّن أوَّلًا أستاذًا، ثم ولي منصب «شيخ الحديث»[1] في الجامعة الإسلامية فيض عام منشي-بازار، ذكيغنج، واستمر على هذا المنصب هناك -سوى فترة قليلة- إلى يومنا هذا، وقد عُيِّن رئيس هذا المعهد الشرعي بعد وفاة مؤسسه العلَّامة عبد الغفار المامرخاني رحمه الله.

- فقد ولي منصب «شيخ الحديث» أيضا لمدة سنتين في الجامعة المحمَّدية، هاري

---

[1] هذا اصطلاح خاص لعلماء الهند وباكستان وبنغلاديش، وهو لقب يلقَّب به كل من يدرِّس «صحيح البخاري» في الجامعات، أي المعاهد الشرعية.

كاندي، ذكيغنج، سِلْهَت.

– وقد ولي منصب «شيخ الحديث» أيضا لمدة سنوات في الجامعة المدنية أنغورا محمَّد فور، بياني بازار، سِلْهَت.

– كما عُيِّن شيخنا حفظه الله تعالى رئيسا لـ «جمعية علماء إسلام، بنغلاديش» لمحافظة ذكيغنج، وله دور بارز في نشر الثقافة الإسلامية من خلال هذه المؤسسة.

مؤلَّفاته:

كان اهتمام شيخنا حفظه الله هو صنع الرجال، وتربية الجيل الناشئ، وإرشاد الخلق إلى الله تعالى بأقواله وأفعاله، فلم يكن لديه كثير وقت للاشتغال بالتأليف والتصنيف.

ولكن كانت له بعض الأمالي الدراسية، التي استملاها من دروس شيوخه في دار العلوم ديوبند.

فمنها: أمالي دروس شيخه العلَّامة المحدِّث الشيخ محمَّد أنظر شاه بن إمام العصر العلَّامة المحدِّث محمَّد أنور شاه الكشميري- على «مقامات الحريري».

ومنها: أمالي دروس شيخه العلَّامة الكبير المحدِّث الشيخ إبراهيم البلياوي رحمه الله على «صحيح مسلم».

وقد كان شيخنا حفظه الله كتب هذه الأمالي بخطه أثناء الدروس باللغة العربية، ولكن مع الأسف الشديد أنها الآن مفقودة، وذلك لأن بعض أصحابه -بعد عودته إلى وطنه- استعار منه هذه الأمالي، فلم يردها عليه بعد، والله المستعان.

علاقتي الشخصية بشيخنا العلَّامة:

ومن الطرائف أن والدي المحدِّث المفتي الشيخ أولياء حسين حفظه الله تعالى من أخص تلامذة شيخنا العلَّامة مقدَّس عليّ حفظه الله، ولكن في الوقت نفسه والدي بنسبة القرابة صهر شيخنا، وهذا لأن شيخنا حفظه الله تزوج بابنة أخت والدي، ووهي أكبر من والدي، وزواجها بشيخنا كان في زمن دراسة والدي، فلذا صار والدي صهرا لشيخه!

ومن هذه الناحية يكون شيخنا زوجًا لأخت عمَّتنا، فهو يمازحنا في بعض الأحيان نظرا إلى هذه القرابة. وقد توفيت أختنا رحمها الله تعالى قبل ثلاث سنين، ولم يتزوج شيخنا بعدها.

وقد استجزتُه، فأجازني في مجلسين، أجازني في شهر رجب سنة ١٤٤١ هـ، المصادف بشهر فبراير سنة ٢٠٢٠ م، حين التقيتُ به في داره= إجازة عامة لكتب الحديث بأسانيد مشايخه المعروفة.

ثم في شهر ذي القعدة/ يونيو من نفس السنة عقدنا -نحن بعض طلبة العلم من بلاد مختلفة- مجلس سماع الحديث الشريف على شيخنا، فقرأ هو علينا الحديث الأوَّل من «صحيح البخاري»، وقرأتُ أنا عليه الحديث المسلسل بالأولية، وكذا الحديث الأوَّل والحديث الأخير من «صحيح البخاري»، كل ذلك عبر الزُّوم ()، فأجازنا، ثم أملى على ابنه هذه الإجازة، وقال فيها:

«استجازني بعض إخوتي في الدين[1] وأخوات من النساء[2] أن أبين لهم سند مشايخي في الحديث، فأجيبهم مع ضعف بدني؛ رجاء الانسلاك في الصالحين، فأقول: إن شيخي في «الصحيح» للبخاري السيِّد فخرُ الدين أحمَد المرادآبادي، وفي «السُّنَن» للترمذي و«الصحيح» لمسلم العلَّامة إبراهيم البلياوي، ولما فرغتُ من القراءة أجازوني، فأجزتُكم كما أجازوني أن ترووا الأحاديث عني كما أجازوني، بشرط صحة الإتقان والاتباع بالسُّنَّة السَّنِيَّة والتأدب بآداب الصالحين، والاستقامة على الصراط المستقيم.

وأدعو لكم أن يُديم حياتكم في خدمة الدين، وأستدعي منكم الدعاء لي بخاتمة الخير على الإيمان واليقين، ويحشرني مع زُمرة الصالحين يوم الدين.

المجيب طالب الدعاء

محمَّد مقدَّس عليّ

٢-١١-١٤٤١ هـ»

من نصائحه وأقواله:

- قبل بداية دروس «مشكاة المصابيح» ذهبتُ إلى شيخنا حفظه الله تعالى، وطلبتُ منه النصيحة، فقال لي: «ينبغي لك أن تراعي الآداب عند قراءة الأحاديث

---

[1] وهم كما وردت أسماؤهم في ورقة الإجازة: «محفوظ أحمَد، ومحمَّد بن عبد الله الشعار، وخالد بن عبد الرحمن، وهارون أنيس، وجميل حسين سيدي، وسيف الرحمن، ومصطفى زمان، وعبد الأحد بن يوسف فتيل، ومحمَّد بو عبد الله، وعبد السلام آزاد، ومأمون».

[2] وهنَّ كما وردت أسماؤهنَّ في ورقة الإجازة: «تهمينة زمان، ومسعودة سلطانة، ومعصومة شمسي».

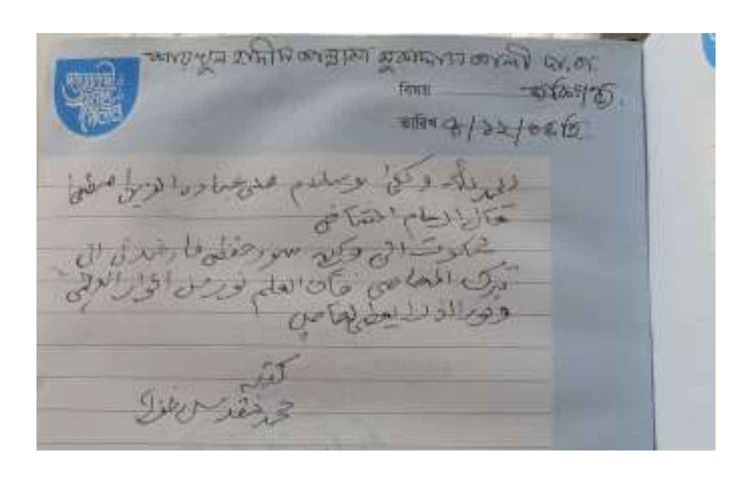
النبوية، كأنك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فتأدب عند قراءة أحاديثه كما لو كنت بين يديه، كما ينبغي لك أن تكون على الوضوء في مجالس قراءة الأحاديث الشريفة».

- كما قال لي: «اجعل نصب عينك العمل بالسنة المشرفة وتطبيقها في الحياة اليومية، حتى تحفظها علمًا وعملًا، وبذلك تستنير حياتك بنور الإيمان واتباع سُنَن سيِّد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم».

- ومن أقواله حفظه الله تعالى: «لا يجترئ على الوعظ (يقصد المحاضرات الوعظية المعروفة في ديارنا) إلا عالمٌ متقِنٌ، أو جاهلٌ مركبٌ»!

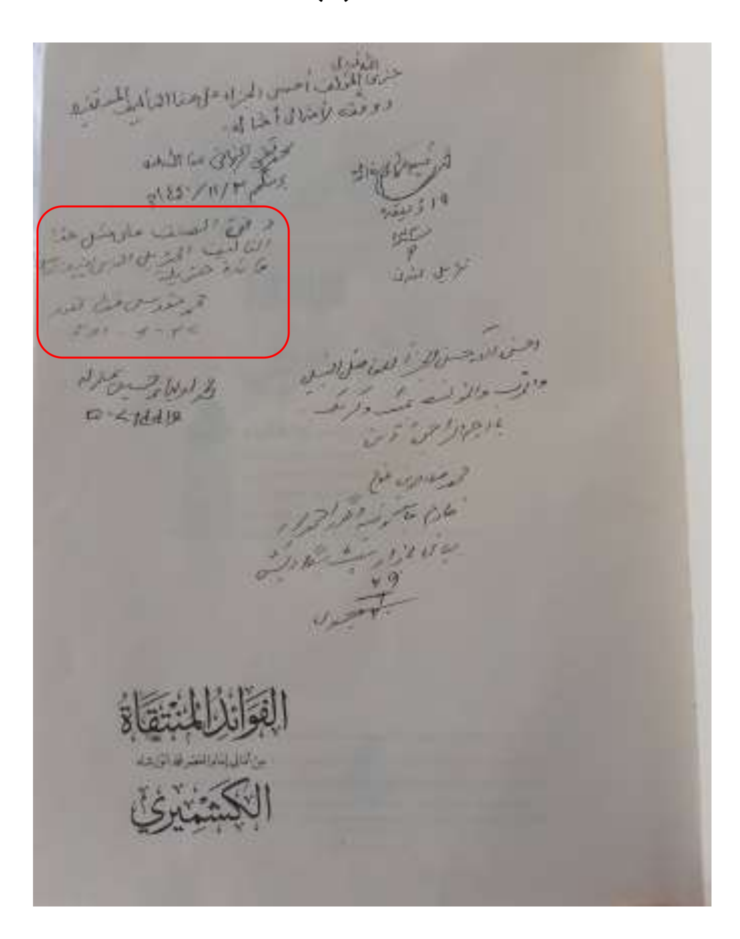
خط شيخنا حفظه الله

(١)



كَتَب شيخنا حفظه الله تعالى بخطه في مذكرتي الخاصة، حينما زرتُه في بيته في اليوم الرابع من ذي الحجة، سنة ١٤٣٥ هـ.

(٢)



تبدو في هذه الصورة خطوط بعض كبار العلماء على طرَّة كتابي «الفوائد المنتقاة من أمالي إمام العصر محمَّد أنور شاه الكشميري»، وهم: العلَّامة المحدِّث الفقيه القاضي محمَّد تقي العثماني، وشقيقه الأكبر العلَّامة المفتي محمَّد رفيع العثماني، وشيخنا العلَّامة المحدِّث محمَّد مقدَّس عليّ، وأستاذي العلَّامة المربي الشيخ ضياء الدين، ووالدي العلَّامة المحدِّث المفتي أولياء حسين، حفظهم الله تعالى.